تابع للمحاضرة الثانية "يوبا الثاني"

ب)انجازاته الثقافية:

* **بناء المكتبات:** أنشأ يوبا الثاني خزانات ضخمة في المدن التي كان يشرف عليها، خاصة مكتبات قصوره، وقد جمع فيها أنواعا من الكتب والمخطوطات القيمة والدراسات النفيسة، خاصة المخطوطات والكتب اليونانية والمصرية واللاتينية والفينيقية التي توجد في مكتبة قرطاج، فقد كانت مكتبات يوبا الثاني العامة، وخزاناته الخاصة العامرة بالكتب والمخطوطات والوثائق القيمة والثمينة، مثالا دالا وشاهدا حقيقيا على مدى اهتمام يوبا الثاني بالفكر والعلم والثقافة. وبالتالي، لم يكن الإنسان الأمازيغي القديم جاهلا أو أميا أو متعطشا إلى الحروب، بل كان يعنى بالتأليف والكتابة والإنتاج كما وكيفا، بل كان يوبا الثاني سيد المثقفين الغربيين في تلك الآونة، ومستشارا ثقافيا بارزا للقيصر أغسطس.

)العناية بالعلماء:** استقطب يوبا الثاني، نحو عاصمتيه شرشال ووليلي، كبار الأدباء والفنانين والنحاتين والعلماء والأطباء من قرطاجنة واليونان وإيطاليا...وفي هذا الصدد، يقول أكصيل:" بعد قرطاجة، فشرشال هي الموقع الذي أعطى أكثر النقوش الإغريقية بشمال أفريقيا، وأكثرها راجع للعهد الروماني، وغيرها لايمكن التأريخ له. ولكن اثنتين منها على الأقل قد وقع نقشهما قبل استيلاء الإمبراطورية...فقد كان يوبا بفضل إحاطة نفسه برجال من أصل هليني: كالطبيب أوفرب والممثل ليونتيوس..وسكرتارين يساعدونه في تهيئة كتاباته، ومهندسين ومثالين وفنانين آخرين وقع استدعاؤهم للعمل في العمارات التي كان يزين بها عاصمته..."

ويعني هذا أن يوبا الثاني قد جمع حوله كثيرا من العلماء والفنانين والنساخين والأدباء والمبدعين والعلماء والمهندسين ...وكان يغدق عليهم الأموال والهبات والمكافآت تشجيعا لهم وتحفيزا وتقديرا وتنويها وتكريما.

***) **الاهتمام بالمتاحف:** بنى يوبا الثاني، في مملكتيه القيصرية والموريطانية، مجموعة من المتاحف الأركيولوجية، وكان الهدف منها جمع الآثار، والمنحوتات،

والنقود، والوثائق، والأدوات، والمعادن النفيسة، والمستكشفات الطبيعية والتاريخية والعلمية والجيولوجية، وقد عرض فيها كل ما وصل إليه بنفسه في أثناء استكشافاته الطبيعية، ورحلاته العلمية، و جولاته السياحية، أو في أسفاره الدبلوماسية والإدارية والسياسية والاقتصادية، أو في أثناء خرجاته للتعلم والبحث والتجريب. أو تعرض فيها ما وصل إليه علماؤه في أثناء رحلاتهم العلمية، واستكشافاتهم الجغرافية.

ومن أهم المتاحف التي أشار إليها الدارسون، وأخص الكولونياليين منهم، متحف شرشال ومتحف وليلي. فقد ضم المتحف الأول كل المنحوتات البرونزية والنقود والأشكال والتماثيل التي كانت توجد بالمملكة القيصرية أو نوميديا، ومازالت بعض تلك الآثار شاهدة على غنى متحف شرشال، وناطقة بعظمة يوبا الثاني، وما شهده عصره من إنجازات ثقافية وفنية عظمى.

ومن جهة أخرى، يشهد متحف وليلي تلك العظمة نفسها بما يحويه من منحوتات، وتماثيل، وصور، وأدوات، وأشكال، ومواد، ونقود، وآثار معبرة عن فرادة عصر يوبا الثاني في التاريخ المغربي القديم.

متحف وليلي

**** **الآداب:** عرف عنه اعجابه بالمكتبات الادبية، وكثرة اطلاعه عليها، حيث كان ينظم الشعر في فترة نفيه الى ايطاليا قبل تتويجه بالحكم هناطك. كما انه كان

مهتما بالكتابات السردية وجمع القصص، حيث نجد من ابرز قصصه قصة "الاسد الحقود" التي مازالت تروى من قبل الجدات في عدة مناطق أمازيغية في المغرب باللغة البربرية، كما ورد ذلك جليا في كتاب(لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين) للباحث المغربي محمد شفيق، غضافة الى قصص امازيغية اخرى.

وقد ذكر يوبا الثاني أيضا، في موسوعته (ليبيكا)، مجموعة من القصص الخرافية الأخرى، سيما قصة عودة البطل هيركوليس إلى طنجة، علاوة على قصص أخرى ضاعت بسبب ضياع موسوعة ليبيكا وباقي مؤلفات أغسطس الأخرى.

اضافة الى هدا فقد كان يوبا الثاني مهتما باللغويات، فكان يبحث في اللغة اللاتينية، واصولها اليونانية اعتمادا على الاشتقاق، كما كان يهتم بجمع مختلف الالفاظ التي قيلت انها اتت من اللغات الاجنبية مثل لهجات الهند وبلاد العرب، ومن أهم كتب يوبا الثاني، في مجال اللغويات، كتاب(التحريف في اللغة)، وقد بحث فيه يوبا الثاني عن التحريفات اللغوية والدلالية التي تعتري معاني الكلمات. هذا، وقد كان يوبا الثاني يتقن لغات عدة، مثل: اللغة اليونانية، واللغة اللاتينية، واللغة البونيقية، ولغته الأمازيغية المحلية التي كان يتواصل بها مع فئات شعبه. بيد أن اللغة اليونانية كانت هي المفضلة بسبب ثقافته الموسوعية التي كانت تفرض عليه ممارسة هذه اللغة، علاوة أنها اللغة الرسمية التي فرضتها زوجته كليوباترا سليني. وهكذا، يتبين لنا بأن يوبا الثاني كان مهتما بالنحو والاشتقاق وفقه اللغة أو الفيلولوجيا، مستعملا في ذلك المنهج المقارن تارة، والمنهج اللغوي التحليلي تارة أخرى.

*****الفنـون:** اهتم يوبا الثاني بالفنون اهتماما كبيرا، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على رهافة إحساسه، وسمو ذوقه الفني والجمالي، وتأثره بالثقافات المجاورة، مثل: الثقافة اليونانية، والثقافة المصرية، والثقافة الفينيقية، والثقافة القرطاجية، والثقافة الرومانية، والثقافة الأفريقية، والثقافة الأمازيغية المحلية.

ومن أهم الفنون التي اهتم بها يوبا الثاني نستحضر ما يلي:الموسيقى، المسرح، الفن التشكيلي، النحت، العمارة، علم الاثار....

05) لماذا العودة الى يوبا الثاني؟

ان سؤال العودة له رمزيته، لانه يرتبط بسؤال الماضي، ويطرح في نفس الوقت اسئلة حول المستقبل، ان سؤال العودة هو سؤال في الهوية، وبحث عن المنسي، او الذي تم نسيانه، بل وتجاهله، إنه سؤال يجيب على من نحن؟ ولمادا نحن؟ وكيف هو هذا النحن؟ والعودة هي طريق وسبيل للبحث عن الهوية المفقودة او التي تكاد تفقد هويتها وذاتها امام متغيرات كثيرة ومختلفة بل وخطيرة، من هنا تاتي العودة الى يوبا الثاني، وهي عودة ضرورية وتاريخية، لانها اداة نستحضر بها الماضي ونجعله يشاركنا الحاضر، بهدف تصحيح اخطاء هدا الماضي والاستفادة منه، على غرار عودة أفلاطون إلى سقراط، وعودة أرسطو إلى أفلاطون، وعودة يوبا الثانبي إلى قايصاريا، والنبي موسى إلى القدس، والنبي محمد)صلى الله عليه وسلم الى مكة، وهيجل إلى التار يخ، ونيتشه وهيدغر إلى الإغريق. كامل يتخذ من إعادة بناء فهي نده المعاني بمثابة مشروع العلاقات وترميمها من جديد مقصدا أساسيا له لا يمكن أن نحايد عنه في أي لحظة من اللحظات، وبقدر ما هو عمل مادي هو أيضا عمل سيكولوجي فريد من نوعه، حضورهما ضروري في بناء المعرفة والواقعة معا.

وفي خضم طرح سؤال العودة والبحث في تاريخية التفكير الفلسفي في الجزائر يذهب الدكتور والباحث مونيس بخضرة إلى أنه "من بين الأخطاء المتوارثة في حق العقل الفلسفي الجزائري، هو أنه كثيرا ما يؤرخ له منذ لحظة الاستقلال إلى يومنا هذا، وهو خطأ شائع يعكس الصورة النمطية التي نرى جزائريتنا على أنها بدأت مع هذه اللحظة . وإذا وظفنا براكسيس العودة في تفكيك هذا المستند، سنجد أن الفلسفة في الجزائر قديمة بقدم سؤال بدء الفلسفة

نفسه . فهي تعود إلى ما قبل الميلاد، إلى مدرسة قايصاريا)شرشال (مع الفيلسوف والمؤرخ الملك يوبا الثاني، والفيلسوف تريانتوس آفر، والفيلسوف أبو ليوس المدواري)مدوارش- سوق اهراس (كتاب صاحب تحولات وغيرهم من الفلاسفة القدماء، وهذ يعني أن الفلسفة ليست غريبة عن أرض الجزائر بحكم الآثار التاريخية والشواهد الآثارية.

وعليه إن الأحكام التاريخية المتوارثة في حق تاريخ الفلسفة الجزائرية، تعود بالأساس إلى التصورات المدفونة في اللاشعور، والتي شوهت تاريخ هذا المجتمع بأكمله، النابعة من التشوهات التي أحدثها توالي الاستعمار على هذه الأرض منذ ما قبل الميلاد إلى غاية عصرنا الحالي، أي ما كل استعمار إلا وله براديغمه الخاص يقارب ألفين وخمس مئة عام، و الشامل الذي فرضه على الوعي الجمعي السائد، وبما أن براديغمات المستعمرين الذين تعاقبوا على هذه الأرض مختلفة وفي بعض الأحيان متناقضة، خلقت وعيا مشوشا على مستوى اللغة وضبط المفاهيم، كيفية بناء الأحكام وتقرير الأشياء، وعلى أسالب العيش وبناء وعلى مجرى الحياة بصفة عامة، فتاريخ الجزائر هو تاريخ استعمار.

وامام ما نعانيه من تعثر فكري وفلسفي، يؤكد الباحث مونيس بخضرة على قيمه واهمية "العودة إلى الأصول وإلى مصادر ثقافتنا بحثا كينونتنا، وهي عودة من أجل تأكيد ثقافة الإحياء على جميع عن الأصعدة، وهذا الذي يجعل من فلسفة العودة فلسفة علا جية وآثارية معا، بقوا الاستشفائية والترميمية، **حيث أننا مطالبون أكثر من أي وقت مضى على أن نعود إلى مدارسنا وإلى فلاسفتنا وإلى معلمينا وحكمائنا**، ونستحضرهم لمشاركتنا همومنا ومشاكلنا وأزماتنا، عن طريق فعل المحاكاة والاستلهام، في مقابل تعلمنا

مفهوم الحرية الحقيقي، **بعد أن نتحرر من ما فرض على عقولنا، على أن اختلاف معتقداتنا وتعدد لهجاتنا وثقافاتنا هو دليل عدم أخوتنا**، وهي أحكام جزافية تعد إحدى أكبر معوقاتنا الحضارية، **ولكن الحقيقة أن يوبا الثاني وآفر وأبو ليوس وأوغسطين والأمير عبد القادر ودريدا وأركون ومهيبل وغيرهم، هم إخوة من أبناء هذه الأرض التي انقسم حولها الغزاة.**

فهذه العودة هي عودة الى الاصول والى لحظات البدء الاول والمنبع الاصيل للفكر الجزائري، والمغاربي، والعربي الاسلامي عموما، وعليه، فإن يوبا الثاني شخصية موسوعية بارزة اعتمدت على المقاربة الثقافية في مقاومتها للرومان، واستطاعت أن تقدم الكثير لشعبها العزيز عليها، على الرغم من الضغوطات الرومانية من لحظة إلى أخرى.

خاتمة:

إن يوبا الثاني شخصية موسوعية بارزة في تاريخ المغرب القديم بصفة خاصة، والتاريخ الامازيغي بصفة عامة، حيث اعتمد على المقاربة الثقافية في مقاومتها للرومان، واستطاع أن يقدم الكثير الكثير لشعبه العزيز عليه، على الرغم من الضغوطات الرومانية، والمضايقات التي كانت تحد من اندفاعه السريع، وتفرض عليه سياسة الحكمة والتروي والتدبير الناجع.

كما اعتمد هذا الملك الأمازيغي المثقف على سياسة الانفتاح والتسامح والتبادل الثقافي، ومعرفة قدراته العسكرية جيدا، والاحتراس من المغامرات المتهورة التي قد تقود شعبه إلى الهلاك. لذلك، كان يهادن الرومان، ويعرف من أين تؤكل الكتف، ويستعمل جميع الوسائل الدبلوماسية لتفادي الحروب والثورات والانشقاقات. لذا، استمر في حكمه مدة طويلة تقدر بنصف قرن؛ بسبب رجاحة رأيه، وصحة رؤيته، وموضوعية بصيرته.

وفي الأخير، نقول مثلما قال المؤرخ پلين الأكبر، لقد عرف يوبا الثاني، في تاريخ الحضارة الإنسانية، بكونه مثقفا وعالما موسوعيا أكثر مما عرف حاكما سياسيا.

مراجع للافادة:

- ستيفان أگصيل: تاريخ شمال أفريقيا، ترجمة: محمد التازي سعود، الجزء الثامن والأخير، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:219.
- د.عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، مطبعة النجاح الجيدة، الدار لبيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 1982م، ص:11.
- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ثلاثة أجزاء، بدون ذكر المطبعة ومكانها، الطبعة الثانية، 1960م، ص:37.
- د.عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، مطبعة النجاح الجيدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 1982م.
- محمد بوكبوط: الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، منشورات مركز طارق بن زياد، الرباط،، الطبعة الأولى سنة 2002م.
- محمد شفيق : لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1989م.
- د.جميل حمداوي: المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2013م.
- د.إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2009م

- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1984م.